تمهيد

ويشتمل على:

- **مفهوم الصفة.**
- **أهمية معرفة صفات النبي ﷺ.**

مفهوم الصفة

عند النظر في أقوال أهل اللغة، نجد أن مفهوم صفة الشيء: حليته، وما تواصف به: أي عُرف به، فالصفة تحلية ونعت.

قال ابن فارس: «الواو والصاد والفاء: أصل واحد هو تحلية الشيء... والصفة: الأمارة اللازمة للشيء»[1] فهي إذاً: «كالعلم والجهل، والسواد والبياض»[2]، «وأما النحاة فإنما يريدون بها: النعت وهو اسم الفاعل والمفعول أو ما يرجع إليهما من طريق المعنى كمثل وشبه»[3].

وقد اتفق أهل اللغة على مفهوم الوصف والصفة، وإن اختلفت عباراتهم[4]، وتجدر في هذا المقام الإشارة إلى الفرق بين الوصف والصفة على ما يلي:

«الوَصْفُ: ذكر الشيءِ بحليتِه ونعتِه، والصِّفَةُ: الحالةُ التي عليها الشيءُ من حليته ونعته»[5].

وأستنتج مما سبق: أن المراد بصفات النبي ﷺ في القرآن الكريم في ضوء المفهوم اللغوي:

---

(١) «مقاييس اللغة»: (١١٥/٦).

(٢) «تاج العروس»: (٤٦٠/٢٤).

(٣) «القاموس المحيط»: (١١١١).

(٤) انظر: «العين»: (١٦٢/٧)، «المحكم والمحيط الأعظم»: (٣٨٣/٣)، «مختار الصحاح»: (٣٠٢/١)، «لسان العرب»: (٣٥٦/٩).

(٥) «مفردات ألفاظ القرآن»: (٨٧٣).

ذكره ﷺ بنعته[1] وحالته اللازمة لشخصيته العظيمة التي كان عليها مما وردت به آيات القرآن الكريم.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وسلم تسليماً كثيراً مزيداً إلى يوم الدين.

(١) هذا على القول بترادف النعت والوصف على ما ذهب إليه الجوهري والفيومي وغيرهما، انظر القاموس المحيط ـ الحاشية ـ (٢٠٧).

أهمية معرفة صفات النبي ﷺ

إنه محمد ﷺ، والذي اقترن اسمه باسم الله تعالى في الشهادتين **(شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله)** فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»(١).

قال ابن رجب: «والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبني على هذه الخمس فهي كالأركان والدعائم لبنيانه فلا يثبت البنيان بدونها... بخلاف نقص هذه الدعائم الخمس فإن الإسلام يزول بفقدها جميعاً بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين، والمراد بالشهادتين: الإيمان بالله ورسوله»(٢).

- ومما سبق يتضح وبجلاء أهمية الإيمان بالنبي ﷺ، ولا سبيل للإيمان به إلا بمعرفته ﷺ، ومعرفة صفاته، **وكلما كانت معرفتنا به أعظم، كان إيماننا به أكمل**، فنبينا ﷺ أكمل الناس إيماناً بالله وأشدهم له خشية؛ لأنه أعرف الناس به سبحانه، ويشهد لذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: صنع النبي ﷺ شيئاً فرخص فيه وتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية»(٣).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»: (١/١١/ح٨)، واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام: (١/٤٥/ح ١٦).

(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب: (١/٤٣).

(٣) رواه البخاري كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب: (٥/٢٢٦٣/ح ٥٧٥٠) واللفظ له، =

يقول ابن رجب: «فلما زادت معرفة الرسول ﷺ بربه، زادت خشيته له وتقواه، فإن العلم التام يستلزم الخشية كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر: ٢٨) فمن كان بالله وبأسمائه وصفاته، وأفعاله وأحكامه أعلم كان له أخشى وأتقى، وإنما تنقص الخشية والتقوى بحسب نقص المعرفة بالله»[(١)].

- ثم إن معرفته ﷺ ومن ثم الإيمان به يؤديان إلى القيام بلوازم هذا الإيمان من محبته، وتعزيره، وتوقيره، واتباعه... إلخ، كما في قوله تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (الفتح: ٩)، يقول ابن رجب رحمه الله: «وأما محبة الرسول ﷺ فتنشأ عن معرفته، ومعرفة كماله، وأوصافه وعظم ما جاء به، وينشأ ذلك من معرفة مرسله وعظمته، فإن محبة الله لا تتم إلا بطاعته، ولا سبيل إلى طاعته إلا بمتابعة رسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١)»[(٢)].

- ولذلك فإن معرفة الرسول ﷺ **ضرورة بشرية** لا غنى للبشرية عنها، وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله: «ومن ها هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول ﷺ وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم

=ومسلم كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته: (٤/١٨٢٩/ح ٢٣٥٦).

(١) «فتح الباري» لابن رجب (١/٨٢).

(٢) «المصدر السابق» (١/٤٨).

يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها... فحال العبد عند مفارقه قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال بل أعظم ولكن لا يُحِسُّ بهذا إلا قلب حي (وما لجرح بميت إيلام)[1] وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ، فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»[2].

- **كما أنه لا بد من معرفة صفاته ﷺ لما يترتب على ذلك من أمور عدة منها على سبيل المثال لا الحصر:**

❖ معرفة قدره ﷺ الذي كان كبيراً عند الله تعالى: ﴿ **مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ** ﴾ (القلم: ٢ـ٣)، وكبيراً في قلوب أصحابه ـ ويشهد لذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ولما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا»[3] وكذلك في قلوب سائر

---

(١) هذا عجز بيت صدره: (من يهن يسهل الهوان عليه) لأبي الطيب المتنبي انظر ديوانه مع الشرح لابن جني المسمى بالفَسْر (٤/٥٣٢).

(٢) «زاد المعاد» لابن القيم: (١/٦٩ـ٧٠).

(٣) رواه أحمد: (٢١/٣٥/ح١٣٣١٢) وابن ماجه: كتاب ماجاء في الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ (٢٥٧٤/ج١٦٣١)، والترمذي: أبواب المناقب (٢٠٢٤/ح٣٦١٨)، وابن حبان: (١٤/٦١٠/ح٦٦٣٤)، والحاكم: في كتاب المغازي والسير (٢/٥٩/ح ٤٣٨٩)، من حديث أنس رضي الله عنه، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب صحيح، وصححه ابن حبان، والحاكم على شرط مسلم.

المسلمين، بل وفي العيون الغربية المنصفة، قال بارت[1]: «كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة في بوادي وواحات شبه الجزيرة يعيشون فساداً، حتى أتى محمد ﷺ ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد، خالق بارئ، وجمعهم في كيان واحد متجانس»[2].

❖ وهذا يستوجب التأسي به ﷺ والاقتداء بهديه، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١) وأنى لنا أن نتأسى به ﷺ دون معرفة صفاته؟

❖ ويستوجب كذلك اتباعه ﷺ لننجو، وننعم بمحبة الله تعالى لنا وغفران ذنوبنا، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١).

❖ كما يستوجب محبته ﷺ ليكمل إيماننا، وننعم في الآخرة بصحبته ﷺ فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[3]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «المرء مع من أحب»[4].

---

(١) رودي بارت: عالم ألماني معاصر، اضطلع بالدراسات الشرقية في جامعة هايد لبرج، وكرس حياته لدراسة علوم العربية والإسلام، وصنف فيها عددا كبيرا من الأعمال منها ترجمته للقرآن الكريم، وله كتاب عن النبي محمد ﷺ (الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة).

(٢) «الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة» (١١٢).

(٣) رواه البخاري كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان: (١/١٤/ح ١٥) واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، بَاب وُجُوبِ مَحَبَّةِ رسول اللَّهِ ﷺ أَكْثَرَ من الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ: (١/٦٧/ح ٤٣).

(٤) رواه البخاري كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله..: (٥/٢٢٨٣/ح ٥٨١٦) واللفظ له، ومسلم كتاب=

ومما سبق تتبين لنا أهمية معرفة صفاته ﷺ، وقد توالت كتب الحديث والسيرة وغيرها تترى على ذكر صفاته ﷺ ـ مما ستأتي في مواضعها من هذا البحث إن شاء الله تعالى ـ وإن أعظم من وصفه هو ربه ﷻ، فباتت صفاته الواردة في القرآن الكريم أولى وأحرى بالمعرفة والدراسة، علنا إذا عرفناها نؤتى قبساً من سناها صلى الله على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

❖ ❖ ❖

=البر والصلة والأدب، باب المرء مع من أحب: (٤/٢٠٣٤/ح ٢٦٤٠).